﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: 36 - 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الله تعالى أعلى وأكبر من حمد الحامدين، ونعمه أجلُّ وأعظم من شكر الشّاكرين

لمّا أتمَّ الكلام على ما حوته هذه السّورة، وأخبر عمّا يحكم به يوم القيامة على جميع النّاس من المؤمنين والكافرين؛ ختم بتحميد الله تعالى والثّناء عليه، فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولمّا أفاد قصرُ الحمدِ عليه تعالى أنَّه هو الغنيُّ المطلق، وأنَّه لا كُفءَ له؛ عطف عليه بعض اللَّوازم لذلك؛ تنبيهًا على مزيد الاعتناء به؛ لدفع ما يتوهَّمونه من ادِّعاء الشِّركة الَّتي لا يرضونها لأنفسهم، فقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الآية[1].

وأيضًا بعدَ أن ذَكَر ما حَوَته السّورةُ من آلائِه تعالَى وإحسانِه، وما اشتَمَلَت عليه مِنَ الدَّلائِلِ الَّتي في الآفاقِ والأنفُسِ، وما انطَوَت عليه مِنَ البَراهينِ السّاطِعةِ على المَبدَأِ والمَعادِ؛ أثنَى تعالَى على نَفسِه بما هو له أهلٌ، فقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾: أصل الكلمة من الكِبَر الَّذي يُستعمل في الأعيان، ثمَّ استُعير للمعاني مثل الكِبَر في المنزلة والرِّفعة والشَّرف[3]، إمّا بحسب الأصل، وهو الحقيقة فيه، وإمّا بحسب اعتقاد المتكلِّم، كما في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: 63]، فسمّاه كبيرًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/ 603.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 167.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات: (كبر).

بحسب اعتقادِهم فيه لا لقدر ورفعة له على الحقيقة، ويُقالُ: كَبُرَ بِالضَّمِّ يَكْبُرُ، أي: عَظُمَ، فهوَ كَبيرٌ، والكبير والمتكبِّر: العظيم، والتّاء في المتكبِّر للتَّفرُّد والتَّخصُّص، وليست هي تاء التَّعاطي والتَّكلُّف[1]، والكبرياء على وزنِ (فِعلياء) من الكِبر، بمعنى العظمة والملك[2]، والتَّرفُّع عن الانقياد لعظمة المتكبِّر وقوَّة سلطانِه[3]، وذلك لا يكون في الحقيقة إلّا للّه تعالى، ولا يستحقُّه غيره سبحانه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ربُّ السَّماوات وربُّ الأرض ربُّ العالمين مستحقٌّ لكلِّ حمدٍ وثناء جميل

فلله الحمد على جلالِه وسلطانِه وعلى نعمِه على خلقه، وعلى حسن تدبيره، وله الحمد على ربوبيَّته للسَّماوات وربوبيَّتِه للأرضِ؛ إذ خلق الخلق، وربّاهم، وأنعم عليهم بالنِّعم الظّاهرة والباطنة، وله الجلال والعظمة والسُّلطان في السَّماوات والأرضِ، فكلُّ شيءٍ خاضع له، مفتقر إليه دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وهو العزيز الَّذي لا يمانع، ولا يغالب، الحكيم في أفعاله وأقواله، تقدَّس ربُّنا، جلَّت قدرته، وعظمت آلاؤه[4]، وعن أبي هريرة ﷺ، قالَ: قالَ رَسولُ اللّهِ ﷺ في الحديث القدسي: «الكِبرِياءُ رِدائِي، والعَظَمَةُ إزارِي، فَمَن نازَعَنِي واحِدًا مِنهُما؛ أدخَلْتُهُ جَهَنَّمَ»[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبةُ التَّعقيب بالفاء في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾:

الله تعالى هو المستحقُّ للحمد والكبرياء؛ إذ ظهر للعالمين أنَّ الثَّواب والعقاب وعموم الجزاء بيده سبحانه

لمّا أخبر اللّه تعالى عن ظهور ملكِه لجميع الخلائق يوم القيامة، وأخبر عن الثَّواب والعقاب بيده تعالى، فأدخل المؤمنين في رحمتِه وجنَّته، وأدخل الكافرين في النّار؛ لتركِهم الإيمان والطّاعة، وظهر

(1) ابن منظور، لسان العرب: (كبر).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (كبر).
(3) الرّاغب، المفردات: (كبر).
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 167، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 778.
(5) مسند أحمد، رقم الحديث: (8893)، وسنن ابن ماجة، تح: عبد الباقي، رقم الحديث: (4174).

به وصفه بالجلال والكمال وتعاليه على جميع خلقِه وأوصافِهم، كما أنَّه لمّا كان الكلامُ عن أحوال القيامة، الَّتي تظهر فيها إضافة كلّيَّة الأشياء وجزئيّاتِها إليه تعالى، فلمّا كان الأمر كذلك؛ ناسب اختيار لفظ الحمد وتخصيصه باللّه تعالى[1]؛ تفريعًا على ما قبله بالفاء في قولِه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾؛ ليظهر بالبناء على ما تقدَّم الثَّناء عليه تعالى بالحمد الدّالِّ على تعاليه على جميع معاني الخلق وأوصافهم، فهو المستحقُّ للحمد والكبرياء؛ إذ ظهر لجميع العالمين أنَّ الثَّواب والعقاب وعموم الجزاء بيده سبحانه، وأيضًا جاءت الفاء؛ لتفريع قصر الحمد على اللّه تعالى على ما حوته السّورة من ألطاف اللّه تعالى فيما خلقَ، وأرشد، وفيما تفضَّل، وأنعم، وما سخَّر السَّماوات والأرض للخلقِ، وممّا اشتملت عليه من الدَّلائل الآفاقيَّة والأنفسيَّة المنطوية على البراهين السّاطعة والنصوص القاهرة في المبدأ والمعاد، وممّا تضمَّنته من إنزالِ الشَّريعة؛ لإقامة العدل في الأرض، وما أنعم على المؤمنين في الدُّنيا والآخرة، وما أوعد به المعرضين عن الحقِّ المكذِّبين له المحتجِّين عليه، وما أخبر به من العقاب عليهم، فَلمّا كانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ اللّه؛ كانَ دالًّا عَلى اتِّصافِهِ بِصِفاتِ العظَمَةِ والجَلالِ، وعَلى إفضالِهِ عَلَى النّاسِ بِدينِ الإسلامِ؛ كانَ حَقِيقًا بإنشاءِ قَصْرِ الحَمْدِ عَليهِ[2].

نوعُ اللّام ودلالتها في قوله: ﴿فَلِلَّهِ﴾:

الحمدُ الكامل والمطلق على الحقيقة مختصٌّ باللّه تعالى، ولايليق إلّا به

اللّام في قوله: ﴿فَلِلَّهِ﴾؛ للاختصاص اللّائق المقيَّد بجملة القصر، بمعنى أنَّ الحمد على الحقيقة مختصٌّ باللّه تعالى، ولايليق إلّا به، وتحتمل أن تكون للاستحقاق، بمعنى: أنَّ الحمد مستحقٌّ للّه تعالى، ولا مانع من اجتماع المعنيين؛ لعظيم جلالِه وكثرة فضلِه

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 236.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 377.

وإحسانِه على جميع الخلقِ، أي: لا يكون الحمد إلّا لله لاختصاصِه به ولاستحقاقِه له سبحانه، ويؤيِّد هذا المعنى تفريعُه بالفاء؛ عطفًا على ما تقدَّم من حكاية أخبار القيامة، وما يجري فيها للعالمين.

نكتةُ تقديم المسند على المسند إليه:

أفاد تقديمُ المسند على المسند إليه في قولِه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ القصر، وهو من قبيل قصر الصِّفة، وهو الحمد على الموصوف، وهو (لله)، وهو قصر حقيقيٌّ، أي: فلله تعالى وحده الحمد، فهو المحمود ولا محمود بحقٍّ سواه.

لله تعالى وحده الحمد، فهو المحمود، ولا محمود بحقٍّ سواه

نكتةُ مجيء الحمد بصيغة القصر:

جاء الحمد بصيغة القصر في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ دون أن يقال: (فالحمد لله)؛ لمناسبة السّياق، فقد جاءت جملة القصر على تقدير الجوابِ بعدَ إرغامِ المكذِّب بالبعثِ وقهرِه ووقوع الأمرِ، مطابقًا لِما أخبر به الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، وظهور ماكذَّب به الجاحد، فعند ظهور الثَّواب للمؤمنين والعقاب للكافرين المكذِّبين، كأنَّ سائلًا سألَ: لِمن الحمد ومَن أهلُه ومَن يستحقُّه، فكان الجوابُ على ذلك: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

اقتضى السّياق والسّباق مجيء الحديث عن الحمد بصيغة القصر

فائدة (ال) في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾:

(الـ) في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس، فيكون اللَّفظ على معنى العموم، وصيغ العموم كلّيَّة، فيستغرق جميع أنواع المحامد، بمعنى أنَّ جميع المحامد مختصَّة بالله تعالى وحده على الإطلاق، فالمراد بالحمدِ: الحمدُ الكاملُ، أمّا مجَرَّدُ الحمدِ؛ فلا يختصُّ بالله، فقد يُحْمَدُ الإنسان على خَصْلَةٍ من الخِصالِ، فيُحْمَدُ بقدْرِ هذه الخصلَةِ، أمّا الحمدُ الكاملُ الواسِعُ؛ فهو مختَصٌّ ومستَحِقٌّ لله وحْدَهُ[2].

جميعُ المحامد مختصَّة بالله تعالى وحده على الإطلاق

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/ 12.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة العنكبوت، ص: 386.

دلالة الجملة الخبرية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾:

من نِعَمِ الله تعالى على العباد أن علَّمهم كيف يحمدونه، ويثنون عليه

تحتمل جملة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾ أن تكون خبريَّة قُصد بها الثَّناء على الله تعالى بمضمونِها، أي: الإخبار بأنَّ الله تعالى هو المستحقُّ للحمد المختصُّ به، ويجوز أن يكون الخبر مستعملًا في معناه الكنائيِّ مع قصد الخبريَّة، فيجمع بين معنيين، بمعنى الإخبار عن الثَّناء على الله تعالى، وأمر النّاس أن يقصروا الحمد عليه سبحانه، وتحتمل أن تكون خبريَّة اللَّفظ إنشائيَّة المعنى، على اعتبار أنَّ المقصود من الصّيغة الأمرُ بحمد الله تعالى[1]؛ تعليمًا للنّاس كيف يثنون عليه سبحانه، فكأنَّه قيل: فإذا علمتم ما يكون من شأن الله تعالى في الحياة الدُّنيا وفي يوم القيامة؛ فقولوا: لله الحمد، ربِّ السَّماوات وربِّ الأرض؛ إيذانًا بوجوب حمدِه تعالى على أحكامِه على العباد وأفعالِه فيهم.

بلاغةُ الجمع بين عنوان الألوهيَّة والرُّبوبيَّة:

كما استحقَّ الحمد بوصف ألوهيَّتِه فإنَّه يستحقُّه كذلك بوصف ربوبيَّتِه

لمّا جعل الحمد مختصًّا بعنوان الألوهيَّة، بمعنى: أنَّ الحمدَ لا يليق إلّا بالله تعالى، وهو مختصٌّ به؛ أتبعه بوصف الرُّبوبيَّة على سبيل البدل؛ على اعتبار أنَّ البدل والمبدل منه كلاهما مقصودان؛ للإشعار بأنَّه كما استحقَّ الحمد بوصف ألوهيَّتِه، فإنَّه يستحقُّه كذلك بوصف ربوبيَّتِه، ولكونِه تعالى مالكًا مدبِّرًا خالقًا للسَّماوات وللأرض، أو يقال: إجراءُ وصف ربِّ السَّماوات على اسمِه الجليل (اللهِ) إيماءٌ إلى علَّة قصرِ الحمدِ على الله، سواء أكان الكلام على معنى الخبرِ أم الإنشاء؛ تأكيدًا لِما اقتضته الفاء في قولِه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾[2]، كما أنَّه لمّا جاء الكلام في سياق تقريع المكذِّبين وتوبيخهم يوم القيامة، وذلك عند انقطاع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 377.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 377.

الدَّعاوى ووضوح الأمر؛ أتبع حمده تعالى بقوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

دلالةُ إضافة لفظ ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

لمّا جاء حمْدُ الله تعالى في سياق حُكمِهِ تعالى في الخلقِ الَّذي يشمل مافي السَّماوات وما في الأرض؛ نبَّه إلى أنَّه تعالى يستحقُّ الحمد لوصف ألوهيَّتِه، ولوصف كونِه مدبِّر السَّماوات ومدبِّر الأرض وخالقًا لهما ومتصرِّفًا فيهما.

سرُّ تكرار لفظ (رَبِّ) وإضافته إلى لفظ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

الحمْدُ مستحقٌّ لله خالق السَّماوات والأرض ومدبِّرهما

كرَّر لفظ الرُّبوبيَّة في العطفِ في قولِه: ﴿وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ﴾، ولم يقل: (ربَّ السَّماوات والأرض)؛ لأنَّ المقامَ مقامُ بيانٍ وتفصيل وتأكيد، بمعنى كما أنَّه تعالى يستحقُّ الحمد؛ لأنَّه خالق السَّماوات ومالكها ومدبِّرها، وهو المتصرِّف فيها، فإنَّه يستحقُّه؛ لأنَّه خالق الأرض ومالكها ومدبِّرها، وهو المتصرِّف فيها، بمعنى: أنَّه يستحقُّ الحمد على سبيل النَّظر إلى الجمع في ربوبيَّته للسَّماوات والأرض، وعلى سبيل النَّظر إلى ربوبيَّته تعالى للسَّماوات على حدةٍ، وللأرض على حدةٍ؛ تعظيمًا لشأنِ خلقِه لكلٍّ منهما، وأيضًا في تكرار لفظ الرُّبوبيَّة تأكيدٌ وإيذانٌ بأنَّ ربوبيَّتَهُ تعالى لكلٍّ مِنْها بطريقِ الأصالة[2]، وفيه كذلك تنويهٌ بشأنِها؛ لأنَّ رَبَّ السَّماواتِ والأرْضِ يَحِقُّ حَمْدُهُ عَلى أهلِ السَّماءِ والأرضِ، فَأمّا أهلُ السَّماءِ؛ فقد حَمِدوهُ، كَما أخبَرَ اللّه عَنهُم بِقَولِه: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورى: 5]، وأمّا أهْلُ الأرضِ؛ فَمَن حَمِدَهُ مِنهُم؛ فَقَد أدَّى حَقَّ الرُّبوبيَّةِ، ومَن حَمِدَ غَيْرَهُ، وأعْرَضَ عَنْهُ؛ فَقَد سَجَّلَ عَلى نَفسِهِ سِمَةَ الإباقِ، وكانَ بِمَأوَى النّارِ مَحَلَّ استِحقاقٍ[3].

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/ 13.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 76.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 377.

سببُ تكرار لفظ الرُّبوبيَّة:

حِفظُ اللهِ تعالى للخَلقِ ذو ألوانٍ بحَسَبِ شُؤونِ الخَلقِ وتنوُّعهم

أعاد ذِكرَ الرَّبِّ في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ تَنْبيهًا على أنَّ حِفظَه للخَلقِ وتَربيتَه لهم ذو ألوانٍ بحَسَبِ شُؤونِ الخَلقِ؛ فحِفْظُه لهذا الجُزءِ على وجهٍ يُغايِرُ حِفظَهُ لجُزءٍ آخَرَ، وحِفظُه للكُلِّ - مِن حيث هو كُلٌّ - على وجهٍ يُغايِرُ حِفظَهُ لكُلِّ جُزءٍ على حِدَتِه، مع أنَّ الكُلَّ بالنِّسبةِ إلى تَمامِ القُدرةِ على حَدٍّ سَواءٍ[1].

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وجمعها:

الله مدبِّرٌ للخلق أجمعين

﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جمعُ عالَم، والمرادُ بهم في هذا الموضع: جميعُ الخلق، فكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالَم، تقول: عالَمُ الإنس، وعالَم الجنِّ، وعالَم الملائكة، وعالَم الحيوان، وغير ذلك، ومعنى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنَّه تعالى مُدَبِّرُ العالَمين مِن الجنِّ والإنس والملائكة وكُلِّ الحيوانات، وهو مالِكُها وحافِظُها ومُصَرِّفُها على ما أراد[2].

دلالةُ عطفِ جملة: (لَهُ الكِبرِياءُ) على السّابق:

نفيُ الكبرياءِ عن غيره ﷻ

عُطِفَت جملة: (لَهُ الكِبرِياءُ) على جملة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾، فتكون جملة: (لَهُ الكِبرِياءُ)، وما تعلَّق بها في حيِّز التَّفريع بالفاء في قولِه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾، ويتفرَّع على حكمِه في الخلقِ - وجميع ما ذُكِر في مقتضى التَّفريع - قصْرُ الكبرياء عليه تعالى، أي: فيتفرَّع على ما ذُكِرَ قَصْرُ الحمد عليه وتعالى، وقصْرُ الكبرياء عليه كذلك.

نوع اللّام ودلالتها في (لَهُ):

الكبرياءُ على الحقيقة مختصٌّ باللهِ تعالى، ولايليق إلّا به سبحانه

اللّام في (لَهُ) للاختصاص، بمعنى: الكبرياء على الحقيقة مختصٌّ باللّه تعالى، ولايليق إلّا به سبحانه، وتحتمل اللّام أن تكون للاستحقاق، بمعنى: أنَّ الكبرياء مستحقٌّ للّه تعالى، ولا مانع من اجتماع المعنيَين، كما في لام (للّه الحَمدُ)، بمعنى أنَّ الكبرياء

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 116.
(2) أبو حفص النّسفي، التّيسير في التّفسير: 13/ 367.

مختصٌّ به تعالى، وهو وحده يستحقُّه، ويؤيِّد هذا المعنى عطفه بالواو على الفاء التَّفريعيَّة في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾، أي: لِما يظهر من آثار كبريائِه في حكمِه على خلقِه يوم القيامة، فله السُّلطان والقهر والعظمة، فلا منازع ولا معترض ولا أحدَ خارجًا عن حكمِه.

دلالةُ تقديمِ (لَهُ) على المسند إليه:

لا عـظـمـةَ ولا سـلـطـانَ لأحـدٍ على الحقيقة إلا لله تعالى

أفاد تقديمُ المسند على المسند إليه في قولِه: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ قَصْرَ الكبرياء عليه تعالى، وإنَّما جاء الكلامُ بطريق القصر؛ لبيان ظهور آثار كبريائِه تعالى في السَّماوات والأرض وعظمتِه فيهما، والمعنى قصر العظمة والسُّلطان والقوَّة والقدرة عليه تعالى، فلا عظمة ولا سلطانَ لأحدٍ على الحقيقة إلّا لله تعالى.

معنى(ال) في ﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾:

(الـ) في لفظ ﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ للجنس، بمعنى: جنس الكبرياء وحقيقته مقصور على الله تعالى.

توجيهُ تخصيص ﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ بالذِّكر:

إذلالُ الله تعالى لأعدائِه وإعـزازه لأوليائِه من آثار كبريائِه سبحانه

أوثر وصفُ ﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ بالذِّكر في هذه الآية دون غيرِه من أوصاف العظمة والجلال؛ لأنَّه أمسُّ بالمقام، وأقضى لحقِّ البلاغة؛ إذ الانتقام من الكفّار، وعدم النُّصرة لهم، وإدخالهم النّار، وعدم قدرتِهم على الخروج منها، وعدم استعتابِهم - وهم في النّار - من آثار كبرياء الله تعالى وعظمتِه الَّتي ظهرت في السَّماوات والأرض، كما أنَّ إدخالَ المؤمنين الجنَّة وقصْرَها عليهم من آثار كبريائِه، فلزم من ذكر كبريائِه إذلال أعدائه وإعزاز أوليائِه، وهو المناسب لختم السّورة، واختير لفظُ الكبرياء على العظمة؛ لأنَّها أبلغ[1].

نكتةُ تقييد الكبرياء بكونِه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

قُيِّد وصفُ الكبرياء المقصور على الله تعالى بحرف الظَّرفيَّة

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 448.

الكبرياءُ أثرُ عظمتِه ﷻ

﴿فِي﴾ في قولِه: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع أنَّه تعالى متَّصف بوصف الكبرياء، وهذا الوصف مقصور عليه سبحانه من غير تقييد بشيءٍ دون شيءٍ، فنكتةُ تقييد الكبرياء بكونِه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الإشعار بظهور آثار كبريائِه وعظمتِه في السَّماوات والأرض وأحكامِه القاهرة فيهما[1]، فلمّا كان آثار كبريائِه ظاهرةً في السَّماوات والأرض، وكانتا ظرفًا للآثار؛ كان الكبرياء فيهما[2]، ففي تقييد الكبرياء بكونِه في السَّماوات والأرض مبالغة في المعنى.

نكتةُ إظهارِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في موضع إضمارهما:

تفخيمُ شأنِ وصفِ اللهِ تعالى بالكبرياء

أُظهِر لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع تقدُّم ذكرِهما قريبًا، فكان الظّاهر أن يقال: (وله الكبرياء فيهما)، لكنَّه عدل إلى الإظهار في موقعِ الإضمارِ لتفخيمِ شأنِ الكبرياءِ[3]، ولتحقيقِ رسوخِ آثار تخصيص اتِّصافِه تعالى بهذا الوصف الجليل فيهما.

مناسبةُ الجمع بين الثَّناء على الله ووصفه بالكبرياء:

الثَّناءُ على اللهِ الغنيِّ عن العباد لا مزية فيه من الحامد

جُمِعَ بحرف العطف الواو بين الثَّناء على اللّه، وإثبات وصف الكبرياء له سبحانه، وكلا الخبرين (للّه الحَمدُ) و(لَهُ الكِبرِياءُ) جاءا بطريق القصر، ومناسبة الجمع بينهما وقصرُهما عليه سبحانه هو أنَّ الحمد فيه الثَّناء على اللّه بصفات الكمال ومحبته تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمته وجلاله، فأفاد أنَّ الثَّناء عليه تعالى، لا لكونِه فضلًا من الحامد، فإنَّه تعالى مستغنٍ عن ثناء الحامدين، بمعنى أنَّ استدعاءَه خلْقَه لحمدِه إنَّما هو لنفعهم وتزكية نفوسِهم، فإنَّ له الكبرياء في السَّماوات والأرض، فهو غنيٌّ عنهم[4]،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 294، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 110.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 148.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 76.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 25/ 378.

كما أنَّ في الجمع بينهما إشارة إلى أنَّ التَّوجُّه إلى الله تعالى مبنيٌّ على ركنين: محبَّةِ الله بالثَّناء عليه والذُّلِّ له بإثبات وصف الكبرياء له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه[1].

مناسبةُ معنى الآيتين لمعنى الحديث القدسي:

مناسبةُ الآية لمعنى الحديث القدسي

من لطائف الآيتين هو أنَّه إذا ضممت مع معنى الزُّبدة والخلاصة من قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ - وهو تصوير عظمة الله - معنى قوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وأخذت فائدة تقديم المسند على المسند إليه فيهما، الدّالَّة على قصر الحمد والكبرياء عليه سبحانه؛ لمحت مسحةً من معنى الحديث القدسي[2]: «الكِبرياءُ رِدائِي، والعَظَمَةُ إزارِي، فَمَن نازَعَنِي واحِدًا مِنهُما؛ أدخَلْتُهُ جَهَنَّمَ»[3].

نوع الواو في قوله: ﴿وَهُوَ﴾:

الواو في قولِه: ﴿وَهُوَ﴾ عاطفة للجملة الاسميَّة على الاسميَّة، والعطف هنا من عطف أسلوب قصر الصِّفة على الموصوف على مثلِه؛ ليفيد العطف الجمع بين المعطوفات على معنى إثبات هذه الأوصاف الجليلة لله تعالى، وقصْرِها عليه.

دلالةُ التَّعبير بالجملة الاسميَّة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة ثبوت مضمون الجملة، بثبوت هذين الوصفين لله تعالى، وثبوت ظهور آثارِهما في خلقِه، وجاءت الجملة بطريق القصر؛ بسبب مجيء المسند والمسند إليه معرفتين؛ للدَّلالة على قصر هذين الوصفين عليه سبحانه.

---

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 778.

(2) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 14/ 263.

(3) مسند أحمد، رقم الحديث: (8893)، وسنن ابن ماجة، تح: عبد الباقي، رقم الحديث: (4174).

نكتةُ تذييلِ السّورة بذكر الوصفين ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾:

من براعة نظْمِ القرآن مطابقة أوّل السّورة لآخرها

أتبعَ ما سبق من الآيات بذكر وصفي ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ للإشعار بأنَّه تعالى هو العزيز الغالب في خلقِه وأمرِه، وأنَّه هو الحكيم في أمرِه وتدبيره في خلق الخلق والتَّصرُّف فيه، وفي إنزال الشَّرائع على النّاس وحكمِه فيهم، وفي بعْثِهم بعد مماتِهم، وإقامة الحساب فيهم، وفي إثابة المؤمنين وعقاب المنكرين الكافرين، فكلُّ ما فعلَه سبحانه هو بمقتضى عزَّته وحكمته؛ لأنَّ العِزَّةَ تَشمَلُ مَعانيَ القُدْرةِ والاختيارِ، والحِكمةَ تَجمَعُ مَعانيَ تَمامِ العِلمِ وعُمومِه، وبهذه الخاتمةِ آذَنَ الكلامُ بانتهاءِ السّورةِ؛ فهو مِن بَراعةِ خَواتمِ السّوَرِ[1]، فانطبق آخر السّورة على أوَّلها، وناسب تذييل السّورة بهذين الوصفين دون غيرِهما.

بديعُ ردِّ العجز على الصَّدر:

كلُّ ما قدَّره الله من الخلق والتَّنزيل فبعزَّته وحكمته

في قولِه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ردٌّ لعجز السّورة وآخرِها على صدرِ السّورة وأوَّلها في قولِه: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية: 2]؛ ليفيد أنَّ إنزالَ الكتاب العظيم وخلْقَ السَّماوات والأرض وما فيهما، إنَّما هو بعزَّته وحكمتِه، وأنَّ البعثَ يوم القيامة والقضاء بين النّاس يومئذٍ إنَّما هو بعزَّته وحكمتِه.

نكتةُ تقديمِ ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ على ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في كلِّ المواضع:

العزَّةُ صفةُ ذات والحكمة صفة فعل

في كلِّ المواضع الَّتي اقترن فيها هذان الاسمان في فواصل الآيات القرآنيَّة؛ كان اسم الله ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ يتقدَّم على ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾، وربَّما كان ذلك؛ لأنَّ العزَّة صفة ذات، والحكمة صفة فعل، وربَّما كان ذلك؛ لأنَّ العزَّة إذا لم تقترن بالحكمة؛ كانت قاهرة، ولا يردُّها شيء، فقدَّمت الآية هنا العزَّة؛ لأنَّ مشاهدة هذه الآيات، وطبيعة هذا التَّكليف، اقتضت ذلك، ثمَّ أتبعها بالحكمة؛ لأنَّه من لوازمها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 378.

فائدة المبالغة في الأبنية الصَّرفيَّة:

في قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ جاءت الصِّفتان الكريمتان على بناء (فعيل) الَّذي يقتضي المبالغة، وهذا يعني أنَّ عزَّته فاقت كلَّ عزَّةٍ، وحكمته تجاوزت كلَّ حكمة.

من لطائف ذِكر أوصاف الله تعالى في الآيتين:

تعليقُ الانقياد لله وتعظيمه والثَّناء عليه بمقامات العزَّة والكبرياء والحمد

في جمل القصر ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾ و﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ و﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ إرشادٌ للمخاطَبين إلى أوامر جليلة، متعلِّقة بما يناسب كلُّ جملةٍ على طريق الكناية أو المجاز، فإنَّه لمّا قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾، وذكر أنَّه ربُّ كلِّ شيء في السَّماوات والأرض والعالمين؛ فإنَّ مثل هذه الرُّبوبيَّةِ العامَّةِ يوجب الحمد والثَّناء على كلِّ مربوب، فكأنَّه قيل: لله الحمد، فاحمدوه، وأثنوا عليه، ولمّا قال: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ دالًّا على ظهور آثار كبريائه وعظمته في السَّماوات والأرض؛ حُقَّ لمثله أن يُكبَّر، ويُعظَّم، فكأنَّه قيل: وله الكبرياء، فكبِّروه، وعظِّموه، ولمّا قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ حُقَّ للعزيز الغالب الحكيم في أفعاله وأقواله وتدبيره أن يُطاعَ، ويُنقادَ له، فكأنَّه قيل: ولَه الكبرياء، فأطيعوه، وانقادوا له[1]، وفي كلام الزَّمخشريِّ والبيضاوي إشارة إلى هذا التَّوجيه[2].

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 24، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 160.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 294، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 110.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"